مجلة الجامعة الإسلاميّة للغة العربيّة وآدابها

مجلة علميّة دوريّة محكمة

الجزء ٢

العدد :١٩
يناير - مارس ٢٠٢٦م

مجلة الجامعة الإسلاميّة للغة العربيّة وآدابها الجزء ٢


١٣٨
١٩٦


بسم الله الرحمن الرحيم

معلومات الإيداع

في مكتبة الملك فهد الوطنية

النسخة الورقية:

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٣ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ

ردمد: ١٦٥٨-٩٠٧٦

النسخة الإلكترونية:

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٤ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ

ردمد: ١٦٥٨-٩٠٨٤

الموقع الإلكتروني للمجلة

http: //journals. iu. edu. sa/ALS/index. html

ترسل البحوث باسم رئيس تحرير المجلة عبر المنصّة الإلكترونية

البحوث المنشورة في المجلّة تعبّر عن آراء الباحثين

ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

جميع حقوق الطّبع محفوظة للجامعة الإسلامية

هيئة التحرير

د. تركي بن صالح المعبدي
(رئيس هيئة التحرير)
أستاذ النحو والصرف المشارك بالجامعة الإسلامية

د. خليوي بن سامر العياضي
(مدير التحرير)
أستاذ تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها المشارك بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبد الرزاق بن فراج الصاعدي
أستاذ أصول اللغة والمعاجم بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبدالرحمن بن دخيل ربه المطرفي
أستاذ الأدب والنقد بالجامعة الإسلامية

أ.د. الزبير بن محمد أيوب
أستاذ أصول اللغة والمعاجم بالجامعة الإسلامية

د. مبارك بن شتيوي الحبيشي
أستاذ البلاغة المشارك بالجامعة الإسلامية

أ.د. محمد بن ظافر الحازمي
أستاذ اللسانيات بالجامعة الإسلامية

د. عبد المجيد بن عثمان اليتيمي
أستاذ أصول اللغة المشارك بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبدالله بن عويقل السلمي
أستاذ النحو والصرف بجامعة الملك عبدالعزيز

أ.د. علي بن محمد الحمود
أستاذ الأدب والنقد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أ.د. عبد الرحمن بن مصطفى السليمان
أستاذ اللّغات والآداب السامية والترجمة بجامعة لوفان – بلجيكا

أ.د. علاء محمد رأفت السيد
أستاذ النحو والصرف والعروض بجامعة القاهرة بمصر

أ.د. سعيد العوادي
أستاذ البلاغة وتحليل الخطاب بجامعة القاضي عياض بالمغرب

الهيئة الاستشارية

أ.د. محمد بن يعقوب التركستاني
أستاذ أصول اللغة بالجامعة الإسلامية

أ.د. محمد محمد أبو موسى
أستاذ ورئيس قسم البلاغة بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر

أ.د. تركي بن سهو العتيبي
أستاذ النحو والصرف بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أ.د. عياد بن عيد الثبيتي
أستاذ النحو والصرف بجامعة أم القرى

أ.د. سالم بن سليمان الخماش
أستاذ اللغويات بجامعة الملك عبدالعزيز

أ.د. ناصر بن سعد الرشيد
أستاذ الأدب والنقد بجامعة الملك سعود

أ.د. منصور بن محمد الغامدي
أستاذ الصوتيات الحاسوبية بهيئة تقويم التعليم والتدريب

أ.د. عبد الفتاح محمد حبيب
أستاذ النحو والصرف والعروض بكلية الزقازيق بجامعة الأزهر

أ.د. حسن دربر
أستاذ الترجمة وعلم المصطلح بجامعة القاضي عياض بالمغرب

أ.د. عزالدين محمد المجدوب
أستاذ اللسانيات بالجامعة التونسية

أ.د. محمد بن صالح الشنقيطي
أستاذ النقد الأدبي الحديث بجامعة جدارة بالأردن

أ.د. صالح بن الهادي رمضان
أستاذ الأدب والنقد بجامعة تونس

قواعد النشر في المجلة (*)

- أن يكون البحث جديداً؛ لم يسبق نشره.
- أن يتّسم بالأصالة والجدّة والابتكار والإضافة للمعرفة.
- ألا يكون مستلاً من بحوثٍ سبق نشرها للباحث.
- أن تراعى فيه قواعد البحث العلميّ الأصيل، ومنهجيّته.
- أن يشتمل البحث على:

– عنوان البحث باللغة العربية وباللغة الإنجليزية.
– مستخلص للبحث لا يتجاوز (٢٥٠) كلمة؛ باللغتين العربيّة والإنجليزية.
– كلمات مفتاحيّة لا تتجاوز (٦) كلمات؛ باللغتين العربيّة والإنجليزية.
– مقدّمة.
– صلب البحث.
– خاتمة تتضمّن النّتائج والتّوصيات.
– ثبت المصادر والمراجع باللغة العربية.
– رومنة المصادر العربية بالحروف اللاتينية في قائمة مستقلة.

- في حال (نشر البحث ورقياً) يمنح الباحث نسخة مجانية واحدة من عدد المجلة الذي نُشر بحثُه فيه، و (١٠) مستلات من بحثه.
- في حال اعتماد نشر البحث تؤول حقوق نشره كافة للمجلة، ولها أن تعيد نشره ورقيّاً أو إلكترونيّاً، ويحقّ لها إدراجه في قواعد البيانات المحلّيّة والعالمية – بمقابل أو بدون مقابل – وذلك دون حاجة لإذن الباحث.
- لا يحقّ للباحث إعادة نشر بحثه المقبول للنّشر في المجلّة – في أي وعاء من أوعية النّشر – إلاّ بعد إذن كتابي من رئيس هيئة تحرير المجلة.
- نمط التوثيق المعتمد في المجلة هو نمط (شيكاغو).

(*) يرجع في تفصيل هذه القواعد العامة إلى الموقع الإلكتروني للمجلة: http: //journals. iu. edu. sa/ALS/index. html

محتويات العدد

م	البحث	الصفحة
١)	الأثرُ الْفَلْسَفِيُّ والْمَنْطِقِيُّ فِي شَرْحِ ابْنِ يَعِيشٍ عَلَى الْمُفَصَّلِ دراسة في تداخل الفكر الفلسفي والتحليل النحوي **د. عواض محمد عطيان القارحي**	٩
٢)	الاستراتيجية الحجاجية في الأبواب التأسيسية من كتاب الأصول لابن السراج **د. عائشة قاسم علي شماخي**	٦٣
٣)	وصف الحيوان في الشعر الجاهلي –دراسة بيئية **د. عادل بن علي الغامدي**	١١٣
٤)	أسرار التجاور في آيات الربا والإنفاق في الذكر الحكيم **د. علي بن محمد آل نومة القحطاني**	١٦٥
٥)	الهُويَّة في رواية ما بعد الكارثة –دراسةً نقديَّةً مقارنةً في فرانكشتاين في بغداد لأحمد سعداوي والطَّريق لكورماك مكارثي **د. محمد بن لافي اللويش**	٢٣٧

م	البحث	الصفحة
٦)	الاستلزامُ الحواريّ في خِطاب السِّيرة الذاتية السُّعودية دِراسة تداولية في سِير غازي القصيبي أنموذجًا **د. مريم معيبد عبيد الرشيد**	٢٨٣
٧)	نبرُ الكلمةِ وتدفّق الدلالةِ في الخطابِ دراسةٌ في الديناميّةِ التواصليّةِ "تنظير وإنجاز" **د. نجلاء علي مطري**	٣٣٥
٨)	خطاب الحبّ في كتاب (الزهرة) لأبي بكر الأصفهاني **د. منى بنت سعود آل تويم**	٣٧٧
٩)	تقييم أداء النماذج اللغوية الضخمة (LLMs) في كشف وتصنيف الأخطاء الكتابية لدى متعلمي اللغة العربية لغة ثانية **د. خليوي سامر خليوي العياضي**	٤٢٩
١٠)	مصفوفة مقترحة للمهارات اللازمة لمهارة التحدث لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى وفقًا للإطار الأوروبي المرجعي المشترك **د. علي بن محمد الغامدي**	٤٧٧

نبرُ الكلمةِ وتدفّق الدلالةِ في الخطابِ
دراسةٌ في الديناميّةِ التواصليّةِ
"تنظير وإنجاز"

Word Stress and Meaning Flow in Discourse
A study in Communicative Dynamics
Theory and Application""

د. نجلاء علي مطري

أستاذ الأدب والنقد المشارك بقسم اللغة العربيّة وآدابها بكليّة الفنون والعلوم الإنسانيّة بجامعة جازان

البريد الإلكتروني: nmatari@jazanu.edu.sa

استلام البحث A Research Receiving		اعتماد البحث A Research Approving
04/09/2025		06/11/2025

نشر البحث
A Research Publication

شوال ١٤٤٧هـ = April 2026

DOI:10.36046/2356-000-019-017

المُلخّص:

يقدّمُ هذا البحثُ دراسةً في الدلالة اللسانيّة التي اهتمتْ بنبر الكلمة، تجاوزًا لصعوبة البحث في نبر الجملة، بحيثُ تقترح نظريّة الديناميّة التواصليّة مجموعة من القواعد التداوليّة التي نعتوها بالتنظيم التداوليّ للجملة، حيث يقع النبرُ على الكلمة الأخيرة في جملة الجواب على كلّ سؤال. وقد شرح الباحثون في هذا الصدد العلاقة بين المحور والبؤرة والتعليق أمثال: ديزسو وفير باس، انطلاقًا من السياق التداوليّ لتدفّق المعلومات في مختلف اللغات.

بيد أنّ الباحثة انتقدت هذه النظريّة ووسّعتها؛ لأنّ الاشتغال على الخطاب الشعريّ أو الخطاب السياسيّ يجعل وضع النبر في آخر كلمة أمرًا غير وارد. ومن ثمّ، تحديد مواضع النبر تخضع للعلاقة بين المتكلّم والمخاطب، وكيف يتمّم بناء المعلومات القديمة والجديدة بينهما.

وهكذا قدّمتِ الباحثة في هذا البحث ملفوظات شعريّة أثبت من خلالها علاقة الديناميّة التواصليّة بأفعال الكلام، وهو توسيع من طرفها، وقد اختبرت ذلك على بعض الملفوظات الشعريّة وبعض جمل اللغة العادية، ثم قاربت مسألة انسجام الخطاب ونبر الكلمة في علاقتهما برتبة الحقائق والعوالم الممكنة، مستفيدةً من أطروحات فان ديك الذي اشتغل على انسجام النصّ بناء على مفهوم السياقات التفسيريّة وعلاقتها بما تقدّمه من جديد عندما يتغيّر الحدث وتتغيّر بالضرورة معه العوالم الممكنة، وحينها يصبح النبر ملازمًا للعالم الممكن الجديد. غير أن تحليل الباحثة لمؤولات الرؤية والرؤيا في خطابات صاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير محمد بن سلمان تعدُّها محاولة منها لبناء خطاب نقديّ سعوديّ يقتحم الخطابات السياسيّة التي تحاول إقناع المتلقي وتبني أطروحتها بالتدرُّج. وكانت مؤولتها قد اعتمدت على تقطيع الخطاب وعوالمه الممكنة، مع التركيز على العلاقات التراكيبيّة والاستبداليّة لتحليل القديم والجديد في خطاب

صاحب السمو الملكيّ. ومن ثمّ، استخلصت أنّ تدفّق معلومة المستقبل هي أساسُ بناء الخطاب وجديده في خطاب صاحب السمو الملكيّ، ممّا يحدّد تغيرّات ممكنة شكّلت إستراتيجيّة العهد الجديد للمملكة العربيّة السعوديّة.

الكلمات المفتاحيّة: نبر الكلمة– المعلومة القديمة، المعلومة الجديدة، رتبة الحقائق، التعليق، والانتقال، والمحور والبؤرة.

Abstract

This research presents a study in linguistic semantics that focused on word stress, overcoming the difficulty of researching sentence stress, such that the theory of communicative dynamics suggests a set of communicative rules that we call the communicative organization of the sentence, where stress falls on the last word in the sentence answering each question. The researchers have explained, in this regard, the relationship between the topic, the focus, and the comment, such as Déesse and Firbas, based on the pragmatic context of information flow across different languages. However, the researcher criticized this theory and expanded upon it, arguing that working with poetic discourse or political discourse makes placing the stress on the final word impossible. Consequently, the determination of stress positions is governed by the relationship between the speaker and the addressee, and by how the two-construct old and new information between them.

Thus, in this study the researcher presented a set of poetic utterances through which she demonstrated the relationship between communicative dynamism and speech acts—an extension proposed on her part. She tested this on selected poetic utterances as well as on some sentences from ordinary language. She then examined the issue of discourse coherence and word stress in their relation to the hierarchy of facts and possible worlds, drawing on the theoretical propositions of Van Dijk, who investigated textual coherence on the basis of the concept of interpretive contexts and their relation to what they introduce as new when an event change—whereby possible worlds necessarily change with it. At that point, stress becomes intrinsically associated with the new possible world. However, the researcher's analysis of the interpretations of vision and dream in the speeches of His Royal Highness Crown Prince Mohammed bin Salman is regarded as an attempt on her part to construct a Saudi critical discourse that engages political discourses seeking to persuade the recipient and to build their theses gradually. Her interpretive approach relied on segmenting the discourse and its possible worlds, with a focus on syntagmatic and paradigmatic relations in order to analyze what is old and what is new

in the Crown Prince's discourse. The researcher consequently concluded that the flow of information about the future constitutes the foundation for constructing discourse and its novelty in the speeches of His Royal Highness, thereby determining possible transformations that have shaped the strategy of the Kingdom of Saudi Arabia's new era.

Keywords: word stress; old information; new information; fact ranking; comment; transition; topic; focus.

مقدّمة:

إنّ الدرسَ النقديّ الحديث لا يمكن أن يستقيمَ في العالم العربيّ دون الترسيخ النظريّ اللسانيّ، الذي يفيدُ في التعرُّف على أحدثِ النظريّاتِ اللسانيّة العالميّة وقراءة الخطاب بشكلٍ عامٍ في ضوئها؛ ذلك أنّ اللسانيّات هي تفسيرٌ وتأويل للظواهر اللغويّة، ومن ثمّ، فإنّ الشعرَ وغيره من الظواهر الأدبيّة يوظّف تلك الآليّات اللسانيّة ويقدّمها في حيّز لسانيّ سياقيّ يجعل الدراسة النقديّة علميّةً نسبيًّا. وهذا ما قصده الشكلانيّون الروس عندما تحدَّثوا عمّا سمَّوه بـ (علم الأدب).

إنّ **المنظورَ اللسانيّ** النقديّ توسّعه الباحثة في هذا البحث، مستفيدةً من المنجز التداوليّ الوظيفيّ كما ورد عند علماء عرب مثل: أحمد المتوكّل وغربيين مثل: دزسو وفيرباس وفانديك وغيرهم، **نحو** صياغة **إشكاليّة قديمة جديدة هي: كيف يتمفصلُ النبرُ في الجملة، وبالتالي كيف ينتجُ عن هذا التمفصل ديناميّة التواصل في سياق العلاقة بين المنتج والمتلقّي في خطاب شعريٍّ؟**

ذلك أنّ قضيّة النبر الصوتيّ تمّ التطرُّق إليها من طرف النحاة وعلماء الأصوات واللسانيين قديمًا وحديثًا، غير أنّ إجماع العلماء على صعوبة الخوض في نبر الصوت وعلى رأسهم: (ابن جنّي، وتمّام حسّان، والسغروشني، ومحمد مفتاح وغيرهم)، يجعلنا نترك قضيّة الرمزيّة الصوتيّة جانبًا؛ لأنَّها كما يقول محمد مفتاح: "مبحثٌ غيرُ دقيقٍ"[1]، انطلاقًا من كون النبر الصوتيّ يتحكَّم في منظومته الإنشاد ومساق التلفُّظ الصوتيّ، الذي يختلفُ باختلاف المنشدين وحالاتهم النفسيّة والثقافيّة وغيرها. وهكذا

(١) راجع كتابي: محمد مفتاح، "تحليل الخطاب الشعري". (ط١، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي،١٩٨٥م).

– محمد مفتاح، "في سيمياء الشعر القديم دراسة نظرية وتطبيقيّة". (ط١، الدار البيضاء: دار الثقافة،١٩٨٩م).

ظهر مبحثٌ جديدٌ في اللسانيّات المعاصرة هو مبحثُ نبر الكلمة (Word Stress)، الذي يربط نبر الكلمة داخل الجملة بالمعلومة الجديدة في الخطاب ويضع لها رتبة خاصّة تتداخل مع إشكاليّة التقديم والتأخير في الخطاب، ويتمفصل عنها أثرٌ ديناميّ في تقدُّم التواصل وتطوُّره.

فما أسسُ ومفاهيمُ نظريّة الديناميّة التواصليّة، وما علاقتها بالتراكم الدلاليّ في الخطاب الشعريّ عبر تدرُّج السلسلة اللغويّة ورتبة الكلمات التي تحوي النبر في مساقها؟

– **موضوع البحث**: دراسة نبر الكلمة في الجملة والخطاب.

– **أهميّة البحث**: تنبعُ أهميّةُ هذا البحث من كونه يطرحُ مقاربةً جديدة للنبر اللغويّ، تتجاوزُ النظرة الصوتيّة البحتة إلى تحليل تداوليّ يربطُ بين النبر وتدفّق الدلالة داخل الخطاب؛ إذ تسعى الدراسة إلى الكشف عن البنية العميقة التي تحكمُ توزّع النبر في النصوص الشعريّة والسياسيّة، بوصفه أداةً لإبراز المعلومة الجديدة وتنظيم العلاقة بين المتكلّم والمخاطَب. كما تتجلّى أهميتها في توظيف نظرية الديناميّة التواصليّة توظيفًا مرنًا يتلاءمُ مع خصوصيّة الخطاب العربيّ، ويسهمُ في بناء رؤية نقديّة ولسانيّة حديثة تواكبُ تطوّر الخطاب السعودي في العهد الجديد، بما يحمله من تحوّلات فكريّة ورمزيّة تعبّر عن انتقال في بنية المعنى وأساليبه الإقناعيّة.

– **أهداف البحث**: سعى هذا البحث إلى تحقيق مجموعة من الأهداف لعلّ أبرزها:

١. تحليل مفهوم النبر بوصفه ظاهرة تداوليّة تسهمُ في بناء الدلالة وتنظيم تدفّق المعلومات داخل الخطاب.
٢. اختبار نظريّة الديناميّة التواصليّة وتوسيعها لتشمل الخطابات غير التقليديّة كالشعر والخطاب السياسيّ.
٣. استجلاء العلاقة بين النبر وأفعال الكلام في النصوص الأدبيّة والسياسيّة، وبيان أثرها في انسجام الخطاب.

٤. الكشف عن كيفيّة إسهام النبر في توليد العوالم الممكنة وتغيّرها تبعًا للسياقات الحدثيّة والمعرفيّة.

٥. بيان دور النبر في إستراتيجيّات الإقناع والتأثير في الخطاب السياسيّ السعودي الحديث.

– **مشكلة البحث**: تتمثّل مشكلة هذه الدراسة في محدوديّة المقاربات اللسانيّة التي تناولت النبر ضمن إطار صوتيّ أو نحويّ ضيّق، دون الالتفات إلى أبعاده التداوليّة والدلاليّة. كما تطرحُ الدراسة تساؤلًا حول مدى صلاحيّة قاعدة وضع النبر على الكلمة الأخيرة —— كما تفترضها نظريّة الديناميّة التواصليّة —— عند تحليل الخطابات التي تتسمُ بتعدّد المقاصد والأساليب، كالشعر والخطاب السياسيّ. ومن ثم تنطلقُ المشكلة البحثيّة من السؤال الرئيس الآتي:

– كيف يسهمُ نبر الكلمة في توجيه تدفّق الدلالة وتنظيم المعلومات داخل الخطاب في ضوء نظرية الديناميّة التواصليّة؟

وتنبثق عنه الأسئلة الفرعية الآتية:

- ما حدود العلاقة بين النبر وأفعال الكلام في النصوص الشعريّة والسياسيّة؟
- كيف يتبدّلُ موقع النبر تبعًا لعلاقة المتكلّم بالمخاطَب وسياق إنتاج الخطاب؟
- وما أثر ذلك في بناء العوالم الممكنة وانسجام الخطاب دلاليًا وتداوليًا؟

– **منهجيّة البحث**: للتحقّق ممّا افترضناه، اخترنا منهجيّةً استنباطيّة، أيّ: إنّنا نطرح النظريّة ثم نفحصها **في** الخطاب. ولذلك اعتمدنا على المقاربات الديناميّة التواصليّة، وهي تندرجُ ضمن اللسانيّات التداوليّة التي تجمع بين التحليل الدلاليّ والتداوليّ للنصوص، مع الاستفادة من مفاهيم نظريّة أفعال الكلام ونظريّة العوالم الممكنة. كما توظّفُ الدراسة المنهج التحليليّ النصّيّ في تقطيع الخطاب إلى وحداته التركيبيّة والدلاليّة لرصد مواضع النبر وأنماطه. وقد طُبِّقت هذه المنهجيّة على عيّنةٍ من

الملفوظات الشعريّة، إلى جانب خطاباتٍ لصاحب السموّ الملكيّ، بهدف اختبار مدى فاعليّة النبر في إنتاج الدلالة الجديدة وتوجيه تدفّق المعنى ضمن السياقات التداوليّة المتحوّلة التي تميّز الخطاب السعوديّ في العهد الجديد.

– **الإطار النظريّ**: إطارنا النظريّ هو النظريّة اللسانيّة الدلاليّة التداوليّة التي اشتغل خلالها مجموعة من الباحثين اللسانيين، أمثال: ديزسو، وفيرباس، وفان ديك وغيرهم، وذلك بقصد تقديم مفاهيم سياقيّة تداوليّة لتنظيم المعلومات بين القديم والجديد، ممّا يحقّق انسجام الخطاب.

– **قسّمنا البحث إلى مقدّمة، وأربعة محاور، هي**:

– **المحور الأوّل**: مقولة الرتبة في الديناميّة التواصليّة.

– **المحور الثاني**: الحقائق ورتبة العوالم الممكنة.

– **المحور الثالث**: رتبة الأعمال والتنظيم التداوليّ.

– **المحور الرابع**: ديناميّة الخطاب السياسيّ.

المحور الأوّل: مقولة الرتبة في الديناميّة التواصليّة

– ١–١ تدفُّق المعلومات التواصليّة:

يمكن اعتبار الرتبة (رتبة الأصوات، والكلمات، والجمل) داخل الخطاب مكونًا رياضيًّا زمنيًا، بحيثُ يمكن أن نجعلَ من رتبة الكلمات شبيهة بالرتبة الرياضيّة، فهي: عبارة عن نقطٍ متتابعة في خطٍ زمنيٍ. وهذا يعني أنّ الرتبة تنتظم عمليّة التأليف بين الوحدات وبين المكوّنات والمركّبات والجمل في اللغة. ومن ثمّ، تسهمُ الرتبةُ في ضمان انسجام الخطاب، وكلّ تشويش عليها له تأثير على نبر الكلمة وعلى الدلالة المباشرة والدلالة التداوليّة(١).

بالنظر إلى ما سبق، يمكن أن نقارب إشكاليّة رتبة الصوت والحرف، ورتبة الكلمات، ورتبة الأحداث والحقائق من زاوية علاقاتها بالبنيّات الدلاليّة والتداوليّة والتركيبيّة. وهو ما يشكلُ مباحث الديناميّة التواصليّة. وقد ذكر تمّام حسّان في كتابه: (اللغة العربيّة معناها ومبناها): "أنّ الرتبة هي فرعٌ على (التضامّ) إذ لا رتبة –في نظره– لغير متضامّين. والتضامُ بهذا المعنى هو أن يستلزمَ أحدُ العنصرين عنصرًا آخر أي (التلازم) أو يتنافى معه فلا يلتقي به ويسمى (التنافي) ..."، كما نسبوا "وظيفة الزمن إلى الأدوات وهي منه براء وإلى الظروف، وهي تفيده معجميًّا لا وظيفيًّا"(٢). ويقصد بالرتبة الطرق الممكنة بلاغيًا لوصف الجملة من حيثُ التقديم والتأخير والفصل والوصل وغيرها، وفي كلّ ذلك دلالة علي أهميّة الرتبة في تحقيق انسجام الخطاب.

إنّ البحثَ في الرتبة ومفاهيمها ضمن الديناميّة التواصليّة هو بحثٌ في النتائج

(١) راجع: إسماعيل شكري، "امبرطوريّة التنافذ نظرية في النسبية التأويليّة". (ط١، الدار البيضاء: دار توبقال– ٢٠١٦م)، ص ١٠٩: ١١٦.

(٢) تمّام حسان، "اللغة العربية: معناها ومبناها". (ط١، المغرب: دار الثقافة،١٩٩٤م) ، ص١٧.

اللسانيّة التداوليّة وأثرها على نمو الخطاب عبر مفهومين أساسيين هما: المحور، والبؤرة.

فكيف يؤثّر التنظيم التداوليّ (Pragmatic Organisation) للجملة على نبرها، وهل لهذا التنظيم (محور/ بؤرة) علاقة بالرتبة الأصليّة للغات؟

من هنا تتشكّلُ دراسات اللسانيّ التداوليّ لازلو دزسو (Dezső László, 1982)[1] نقطة انطلاق مجموعة من الباحثين التداوليّين الذين استفادوا من مدرسة براغ ومن دراسات اتجاه المنظور الوظيفيّ للجملة، قصدَ تطوير مفهوم التنظيم التداوليّ للجملة والخطاب. فقد انتبه هذا العالم إلى أنّ التنظيم التداوليّ هو الذي يحدّد رتبة المكونات باعتباره واسطة تنظيميّة، ومن ثمّ، يحدّد علاقة هذه الرتبة بنبر الجملة. لكنّه، وهو يشتغلُ على مجموعة من اللغات اكتفى بإبراز علاقة النبر بالرتبة الأصليّة للغات، دون التركيز على أهميّة التداول في تحديد الرتبة والنبر كذلك.

ويمكن أن نلخّص أطروحات دزسو فيما يأتي:

١– اللغات العالميّة من حيث ترتيب المكوِّنات نوعان:

أ–نوع يعرّف فيه ترتيب الفاعل (s) سـبقًا على المفعول (o)، مثل الإنجليزيّة (فا ف مف)، والعربيّة (ف فا مف).

ب–نوع يعرّف فيه المفعول سبقًا على الفاعل مثل اللغات من نمط (ف مف فا).

٢– في الصنف الأول (أ) نجد المُنَفِّذ (Agent) دلاليًا هو الفاعل تركيبيًّا، والمحور (Theme)، كما أنّه يسبق الهدف (Goal) دلاليًا وهذا الهدف هو المفعول تركيبيًّا، والبؤرة (Focus) تداوليًّا.

٣– يُلاحظ أنّ هذه اللغات من صنف (أ) تتبعُ المبدأ الذي ينظِّر له الاتجاه الوظيفيّ

(1) László Dezső. "*Studies In Syntactic Typology and Contrastive Grammar*", Translated by: Imre Gombos and Béla Hollósy. Berlin; Boston: De Gruyter Mouton. 1982. PP. 20:34.

للجملة، الذي تتبناه الأطروحة الآتية:

إنّ اللغات من صـــنف (أ) هي الحاملة للعنصـــر الأعلى في الدرجة الديناميّة التواصليّة، وهو العنصرُ الذي يتأخّر على العنصر الحامل لدرجة دنيا.

ومعنى هـذا الكلام أنّ فيرباس (Firbas, J-1981)(١) قـد اقترح مـا يســـمى بالديناميّة التواصليّة ويقصد به مدى إسهام مكوّنات الجملة في تقدّم التواصل وتطوّره، ومن ثمّ، فإنّ اللغات التي يسـبق فيها الفاعل المفعول تؤخّرُ الوحدة التي تطوّر التواصـل في آخر الجملة، حيث يكون النَّبْرُ واقعًا على الكلمة المتأخّرة في الجملة أيّ: البؤرة.

ويفصّل **فيرباس** في ذلك على أساس مجموعة من المبادئ، هي:

أ- **التعليق** هو الجملة التي تحتوي على نبر الكلمة أو نبر الجملة. وبمعنى آخر، فإنّ التعليق يحوي **البؤرة** (Focus) **والانتقال** (Comment)، ومثال ذلك، إذا قلنا: **سأشاركُ في مباراة تخصُّ كرة القدم**، فإنّ جملة **تخصّ كرة القدم** هي **تعليق**، و**الانتقال** هو فعل: (**تخصُّ**)، وأمّا الكلمة **المنبورة**، فهي **البؤرة**: **كرة القدم**، أيّ: أنّ المتلقي يعرف بأنّ المتكلّم سيشـارك في مباراة، لكن لا يعرف نوعهـا، فتـأتي جملة التعليق متأخّرة في الكلام لتوضّـــح البؤرة، أيّ: المعلومة الجديدة والموسومة بالنبر.

ب- نلاحظُ أنّ العنصـر المتأخّر في الجملة هو، حسـب **دزسـو وفيرباس**، الحامل للمعلومة الجديدة بالنسـبة للمتلقّي هو العنصـر الموسـوم بالنبر. لكننا نرى أنّ هذا المنظور لدى العالمين اللســـانيين يتعامل مع الرتبة وكأنَّها مكونٌ ثابت، ويُقصي أهميّة التنظيم التداوليّ في تحديد رتب المكوّنات نفسها.

فليس بالضـرورة أن يكون المكوّن المنظور (البؤرة) هو المفعول، وليس بالضـرورة

(1) See: Jan Firbas. "*Scene And Perspective*". In: Brno Studies In English, 1981, vol. 14, iss. 1, pp. 48: 49.

أن يكون متأخرًا في الكلام، وهذا يعني أنّنا ننتقدُ البلاغة العربيّة التي ترى أنّ الـمُقدَّم أولى، كما تنتقدُ نظرية **دزسو وفيرباس** التي تجعل من المتأخِّر أولى، لأنّه في نرى أنّ النبر يقع على المعلومة الجديدة سواءٌ أكانت متقدّمة أو متأخِّرة.

فإذا قلت لي: **سافرت إلى جدة صباحًا**، ولكي نحدِّد النبر والبؤرة، نطرحُ السؤال: **ماذا فعلت صباحًا؟** سيكون الجواب: **سافرت**، والمتقدّمة في الكلام هي الحاملة للنبر، ومن ثمّ، هي **البؤرة**.

أما إذا كان السؤال: **متى سافرت إلى جدّة؟** فستصبح المعلومة الجديدة هي: **(صباحًا)**، وهي: **البؤرة**.

وإذا قلت لك: **أين سافرت؟** فستكون **(جدة)** هي **المعلومة الجديدة**.

إذن، تحديد نبر الكلمة في البؤرة يخضع للسياق التواصليّ الذي يمكِّن من تحديد المعلومة المتعارف عليها بين المتكلّم والسامع، أيّ: (المحور) و(البؤرة) التي تمثّلُ المعلومة الجديدة.

ونجدُ في الأدبيّات الوظيفيّة التداوليّة ما يرادفُ مصطلح المحور، ويتمُّ التعبير عنه بمصطلحات مثل: **(الحول التداوليّ)** (Pragmatic Aboutness) أو **(عائديّة الخطاب)** (Discourse Anaphoric) أو (Topic).

أما البؤرة، فهي الجزءُ الذي يسهم أكثر في تقدّم التواصل وتطوّره، فسياقها يمثّل المعلومة الجديدة ويقع عليها نبر الجملة أو نبر الكلمة، وتؤشِّر على أعلى الدرجات الديناميّة التواصليّة. لكن، كما وضحنا سابقًا، ليس بالضرورة أن تأتي في آخر الكلام.

وللبؤرة مثل **المحور** مصطلحان اثنان، هما: (Focus = Rheme)، بينما يمثل مصطلح **تعليق** (Comment) مصطلحًا أشمل، إذ يضمُّ **البؤرة والانتقال** (Transition).

ونوضِّح ذلك من خلال بعض الأمثلة التي نربطها بسياقات من خلال أسئلة:

١– ماذا تقرأ خديجة؟ تقرأ خديجة رواية

محور بؤرة

أمّا إذا كان السؤال: **أيَّ نوع من الروايات تقرأ خديجة؟**

فستعاد تكوين المكونات الدلاليّة كالآتي:

٢– خديجة تَقرأ رواية بوليسيّة.

محور تعليق

في هذا المثال، يكون التعليق الانتقالي هو: رواية بوليسيّة، بينما البؤرة هي: بوليسيّة.

إذن، نحن نخالف ما ورد في منظور الديناميّة التواصليّة الذي يجعل بالضرورة البؤرة متأخِّرة في الكلام

فيمكن أن نطرحَ السؤال من جديد: من يقرأ الرواية البوليسية؟ فيصبح الجواب:

خديجة هي من يقرأ الرواية البوليسية.

البؤرة المحور

ويقودنا هذا إلى التفسير في نظرية سسومو كونو (Susumu Kuno, 1978)[١] الذي قدّم قاعدة تداوليّة مبدئيّة تعرف بـ (مبدأ تدفّق المعلومة - Information Flow Principle = IFP).

(1) See: Susumu Kuno. *"Functional Sentence Perspective: A Case Study from Japanese and English"*. Linguistic Inquiry 3(3) 1972: 269–281

نشرحها كالآتي:

١–٢ تدفّق المعلومات والتنظيم التداوليّ للخطاب:

يعتمدُ هذا المبدأ على أنّ الكلمات تنتظم في الجملة تبعًا لقدم أو جدة المعلومة. فالكلماتُ ممثّلة لمعلومة قديمة ومحتملة تأتي في المقدِّمة، بينما الكلمات الممثلة للمعلومة الجديدة وغير المحتملة تأتي في آخر الجملة[١]. ومع ذلك، فإنّ هذه القاعدة تعدُّ قاعدة أساسيّة فقط، أو ما يسميه تيوان أ. فان ديك (Teun A. van Dijk)[٢] بـ(الترتيب العاديّ لعناصر المحور والبؤرة).

ففي نظرنا، مقاصد المتكلِّم والمخاطب قد تتجاوز هذا التنظيم وتخرقه حسب مساق وسياق الملفوظات. ولذلك، فافتراض أسئلةٍ بخصوص الفقرات والنصوص في الجمل هو الكفيلُ بتحديد مواقع البؤرة والمحور (المعلومة القديمة، والمعلومة الجديدة).

فعلى سبيل المثال:

---

(١) نشير هنا إلى وجود اختلاف في هذه المفاهيم بين النحو الوظيفيّ التداوليّ، والنحو التوليديّ. وهذا ما يؤثّر على ترجمتها عند كلّ من أحمد المتوكّل، والفاسيّ الفهريّ، فالأوّل، وهو وظيفيٌّ تداوليٌّ يماثلُ على غرار الوظيفين بين Theme وTopic للإحالة على المحور، بينما الثاني يرى أنّ Topic هي البؤرة أيّ الموضع. وهذا معناه أنّ ما هو بؤرة عند الوظيفين يوجد في الموضع عند التوليديين.

– راجع: أحمد المتوكّل. "اللسانيات الوظيفية: مدخل نظريّ"، (د.ط، الرباط: منشورات عكاظ،١٩٨٩م)، ص٩٣؛ وعبد القادر الفاسي الفهري. "في اللسانيات واللسانيات العربية". إشراف إدريس السغروشي، وعبد القادر الفاسي الفهري، (د.ط، الدار البيضاء: منشورات عيون المقالات، ١٩٨٨)، ١٤: ٢٤.

(2) Teun. A Van Dijk. "*Text and context: Explorations in the Semantics and Pragmatics of Discourse*". University of Amsterdam, Second Impression. 1982, pp.12 :16.

إذا طرحنا السؤال: أين سافرت خديجة؟ يأتي جوابه متضمنًا للبؤرة: سافرت إلى مكة. بينما إذا قلنا أو تساءلنا: ماذا فعلت خديجة؟ ستكون البؤرة في بداية الملفوظ: سافرت إلى مكة(١).

ويمكن أن نقاربَ الديناميّة التواصليّة في ملفوظٍ شعريٍّ سواء أكان جملةً أم خطابًا، وذلك لتأويل وتفسير مدى تقدُّم الشاعر مع المتلقِّي في تنمية (المحور)، ليتحوّل تدريجيًا إلى بؤرة تصبحُ بدورها محورًا، وينتقل الشاعر إلى بؤرة جديدة وهكذا دواليك.

يقول الشاعر أحمد الحربي في ديوانه: (مع الريح)، وفي قصيدة (وطن العرب)(٢):

وطنٌ تمزّقه السهام
وليس لي وطنٌ سواه
عيناه لي عينان
ويداي ترتعشان
في كفيه
لا حلمٌ يراودها
ولا قلبٌ يغرّدُ بالمشاعر
والأحاسيسِ التي
يروي جماجمها الرواة
وطنٌ هو الآتي
وكلُّ مشاكلي في عينيه

(١) في اللسانيّات المركّب الفعليّ مثل: دخل، ومثل: دخل الولد، وأمّا المركّب الاسميّ مثل: الجو حار، بينما المركّب الحرفيّ مثل: إلى المدرسة ذاهبٌ.

(٢) أحمد الحربي، "ديوان مع الريح". (ط١، القاهرة: دار النابغة للنشر والتوزيع،٢٠١٥م)، ص ١٣١: ١٣٣

في خصره
في كفّه
في كلِّ أحلام الحفاة
أنا ليس لي من هذه الدنيا
سوى لحن الشفاه
أنا ليس لي مالٌ ولا جاه
ولا أرضى بتقبيلِ الكفوف
ولا الجباه
أنا يا أنا قلمٌ
أسلِّطه على نفسي
وتذبحني مواويل الرُّعاة

في هذا الملفوظ الشعريّ تتدفَّق المعلومات في سياق دلاليٍّ تداوليٍّ يؤشِّر على مواضع النبر، التي تمثّلُ المعلومات الجديدة. نلاحظ تراكم الوحدة الدلاليَّة (وطن) في أكثر من سطرٍ شعريٍّ، وهذا يقودنا إلى اعتبارها (محورًا) أيّ: أنَّ القصيدةَ محورها الأساس الذي يقدِّمه الشاعر للمتلقِّي هو وطن بدون تعريف. وإقصاء التعريف يحيلنا أساسًا على أنّ محور الخطاب ليس فقط هو وطن الشاعر، بل وطن كلّ عربي وكلّ متلقٍّ للقصيدة.

وما يفحصُ هذا التأويل عنوان القصيدة: (وطن العرب) الذي جاء معرفًا بالإضافة، ليجعل من ثنائيّة التعريف والتنكير علامة سيميائيّة على تأرجح الدلالة التداوليّة بين وطنين: وطن لكلّ العرب، ووطن لكلّ آدميّ يعيش السياق نفسه ويتمثّله كما هو حال الشاعر. هل معنى ذلك أنّ الشاعر يجعل من الوطن العربي محورًا، ومن وطن الإنسانيّة محورًا لكلِّ ذات تقرأ القصيدة؟

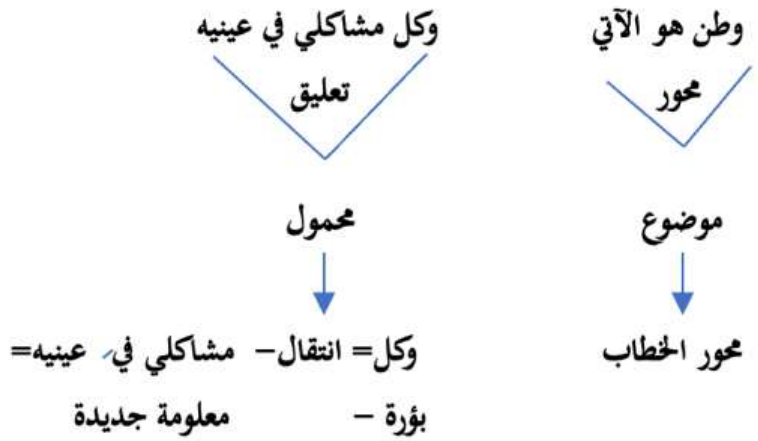
نتبنّى هذا الافتراض من خلال التساؤل السابق، حيثُ يأتي التعريف في العنوان

فقط ويغيب في المتن. فما حال هذا الوطن؟ أيّ: ما المعلومة الجديدة التي ستجيب على معضلة الشاعر مع وطنه؟ نلاحظ أنّ الوطن تصدّر أوّل سطر شعريّ، وبعدها مباشرة تأتي البؤرة/الجديد، وهي: إسناد الوطن إلى ذات الشاعر. وكأنّ السياق الديناميّ التواصليّ يجيب عن السؤال: إذا كان محور القصيدة هو وطن ما، فما علاقته بالشاعر؟ الجواب: إنّه وطنه، والذي يقع عليه النبر في الملفوظ، **وليس لي وطنَ سواه**. لنلاحظ أنّ الوحدة المعجمية (وطن) الأولى هي محور، لكن عندما يتصدّر (الانتقال) وهو (وليس لي) في السطر الثاني، تتحوّل الوحدة من محور إلى وحدة بؤرة.

إذن، انطلق الشاعر في العنوان من محور الوطن العربي ليخصّصه وينسبه إلى ذاته في تحوّل إلى بورة، لكن سرعان ما يتحوّل الوطن والذات إلى محور أساس الخطاب، وما يأتي بعده هو بؤرة متراكمة علي بورة في شكل تراكم ديناميّ يجيبُ على كثير من الأسئلة التداوليّة، مثل: ما الذي يمكن أن يطرحه المتلقّي: وما الإشكال في وطنك؟ هل هي وقائع أم أحلام؟

تأتي الأجوبة عبارة عن بؤر منبورة في مختلف الأسطر الشعريّة.

هكذا ترتعشُ يدُ الشاعرِ في وطن ممزّق، بل إنّ الوطن هو مشكلةُ الشاعر، عندما يقول: وطن هو الآتي وكلّ مشاكلي في عينيه. يمكن عندها أن تقديم نمذجة تمثيليّة لثنائيّة المحور البؤرة لتوضيح حركة النبر وتحوّل المعلومات الجديد عبر الملفوظ الشعري، كالآتي:



الشكل رقم (١) ثنائيّة المحور البؤرة

لننتبه أنّ الانتقال: (وكلّ) في الملفوظ الشعريّ حمالٌ لكلِّ التمثُّلات السياقيّة التي يشيّدها المتلقِّي بخصوص وطن الشاعر. فهو معلومات جديدة تحيلُ على الأحلام وعلى الحبّ، وفي الآن ذاته يتدفّق اعتزاز الشاعر بنفسه في شكل معلومات جديدة متدفِّقة. فلا يرضى الشاعر بواقع هذا الوطن، فيأتي الجواب البؤرة: أنا (محور) ليس لي مالَ ولا جاهَ (تعليق). ولا أرضى بتقبيل الكفوف ولا الجباه. هذا التدفُّق الديناميّ التواصليّ، الذي كشف عن متواليات دلاليَّة تداوليَّة خفية، يفاجئ المتلقِّي بمعلومات جديدة آخر النصّ، وهي: قلم الشاعر، فهو غناه وسيفه وكلُّ ما يملك. يقودنا هذا التحليل الإجرائيّ السلس إلى أنّ المتلقِّي تفاعل مع منتج النص واستوعب وطن الشاعر، وهو وطنٌ لكلِّ ذات كذلك، لكنّه وطنٌ تضيعُ فيه الأحلام، ويبقى الشعرُ السلطة الوحيدة التي تسمح لشاعر أنّ يعبّر عن ذاته: أنا الشاعر.

ومن هنا نستخلص الفعل اللغويّ الخفيّ (Language Act) بالمعنى الذي يقدّمه جرايس وسورل، والمتمثّل في تشييدنا لمؤوّلة **الاستلازم الحواريّ**: أنا شاعرٌ يتأسَّى لأحزان المهمشين. وذلك انطلاقًا من قوله: **أنا يا أنا قلمٌ أسلِّطه على نفسي وتذبحني مواويلُ الرعاة**.

انطلاقًا من المقاربة السابقة، نستخلصُ الآتيّ:

أ–نحدّد المحور/البؤرة بواسطة مؤشرات نصيّة وسياقيّة تحيلنا على بعض الأسئلة التي تخصُّ الجديدة أو القديمة في الخطاب.

ب–يلعبُ هذا التنظيم التداوليّ دورًا كبيرًا في توليد المعلومات وتصنيفها بين القديم والجديد، ومن ثمّ تحقيق انسجام النص.

ج–إنّ لهذا الترتيب الزمنيّ التداوليّ خلفيّات معرفيّة تتمثّل في ديناميّة التواصل للتأثير المتبادل بين المتكلِّم والمخُاطَب.

وبناءً على ما سبق، يمكن اعتبار مفهوم **محور الخطاب** عاملاً أساسيًّا في تحقيق ترابط الجمل وانسجام النصّ. وذلك بالنظر إلى أنّ هذا التمييز بين المحور والبؤرة أو التعليق يوازي التمييز الكلاسيكيّ في الفلسفة والمنطق بين الموضوع (Subject) والمحمول (Predicate). فالترتيب العادي لثنائية (الموضوع/ المحمول) يمكن اعتباره مؤشرًا في سياقٍ ما على المحور والتعليق. ومثال ذلك: سافر عليٌّ إلى جدّة. يمكن اعتبار هذا الملفوظ مؤشِّرًا على الاصطلاحات السابقة: إذا كان السؤال: أين سافر عليٌّ؟، فإنّ إلى (جدةَ) هي التعليق، ومن ثمّ، هي المحمول، وأمّا (علي وسفره) فهما: المحور أيّ: الموضوع. لكن يجب أن ندرجَ ملاحظةً أساسيةً مفادها:

– ضرورة عدم الخلط بين المنظور المنطقيّ لمفهوميّ الموضوع والمحمول، حيثُ إنّهما يحيلان إلى تقسيم منطقيّ فلسفيّ وصوريّ لا علاقة له بالديناميّة التواصليّة، التي نجدها موضوع مباحث الديناميّة التواصليّة، ويرجع ذلك إلى اعتبارات عديدة، من بينها:

– أنّ المحورَ والبؤرةَ مؤشران على موضوعة أساسيّةٍ في الدرس اللسانيّ الحديث، هي: كيف يسهم نبر الكلمة عبر تدفّق الدلالة في بناء الانسجام بين الخطاب والمتكلّم والمتلقّي؟

غير أنّ الديناميّة التواصليّة لا تتحقَّق فقط برتبة الكلمات أو الوحدات المعجميّة من حيث ورود المعلومات القديمة والمعلومات الجديدة، بل يجب الاشتغال كذلك في الخطاب على رتبة الحقائق ووظائفها في تطوّر الخطاب ودناميّته.

المحور الثاني: الحقائق

الرتبةُ والعوالم الممكنة

لقد تمّ الاستدلال سابقًا على أنّ ترتيب مكوّنات الجملة وفق قيود تداوليّة ومعرفيّة يؤشّر على ديناميّة الخطاب ومدى فاعليَّة التواصل خلاله، انطلاقًا من المقارنة بين تراكم المحور على حساب البؤرة أو العكس.

غير أنّ هاتين الوظيفتين، أيّ: وظيفة المحور، ووظيفة البؤرة لا تحيلان فقط على الذوات والأشياء، بل تحيلان كذلك على الحقائق (Facts) أيّ: يحيلان على عوالم ممكنة (possible World)، ممّا يسمح بتحديد مدى تأثير تلك الحقائق على ديناميّة التواصل، حيثُ نشيّدُ (الحقائق) الأكثر أهميّة من غيرها في الخطاب. إذا كانت الجمل تعينُ حقائقنا في عالم ممكن فإنّ "متواليات الجمل تعيّن متواليات الحقائق"(١). معنى ذلك أنّ هناك تماثلاً بين بنية متواليات وبنية متواليات الحقائق، لكن التوالي الخطّيّ للجمل ليس بالضرورة أن يرتبُ الحقائق ترتيبًا خطيًّا. ذلك أنّ ترتيب الحقائق رهين بقواعد تداوليّة ومعرفيّة تؤدّي في الخطاب إلى حالة تأويليّة يقوم بها المتلقّي باستخراج الحقيقة الأهمّ أيّ: الحقيقة البؤرة. ومن ثمّ، فإنّ (فان ديك) يقرّ بوجود "ترتيب عادي للحقائق يأخذ بعين الاعتبار تأويل المتواليات الجمل بالنظر إلى أنّ ما يرد فيها من أعمال يأتي مرتبًا وفق حقائق الرتبة الأساس التي يختارها المتكلّم أو صاحب الخطاب"(٢).

لنأخذ الأمثلة الآتية:

أ– توجه عليٌّ نحو المقهى، خلع سترته، وطلب شرب القهوة.

ب–توجه عليٌّ نحو المقهى وقبل أن يطلب القهوة خلع سترته.

(1) Teun. A Van Dijk. "*Text and context*", p.114.
(2) Ibid, pp.117.118.

ج–توجه عليٌّ نحو المقهى، ثم طلب القهوة بعد أن خلع سترته.

ج–توجه عليٌّ نحو المقهى، طلب شرب القهوة، وقد خلع سترته من قبل.

لنلاحظ في هذه الجمل أنّ ترتيبها الخطيّ حمل بعض التغييرات الزمنيّة التي لم تغيّر في ترتيب الحقائق. فأن نقول: إنّ ج أ وهي توجه عليٌّ إلى المقهى، قبل ج ب وهي خلع السترة، بل وقبل طلب القهوة، لا يغير شيئًا من الحقائق في باقي الجمل، سواء جاء طلب القهوة قبل خلع السترة أو بعده. حيث إنّ:

< ج أ، ج ب>و<قبل ج ب، ج أ>و<ج ب بعد ج أ> هي مجرد تغييرات في رتبة الجمل، لكنّها لم تمسّ الترتيب العاديّ والخطيّ للحقائق، الذي يبدأ بزمان التوجّه نحو المقهى، ثم خلع السترة، وطلب القهوة. بيد أنّ المتلقِّي، وإن اعتبر تغيير الحقيقة لم يؤثِّر فيه تغيير ترتيب الجمل، فإنّه يشيّدُ عوالم جديدة من الحقائق انطلاقًا من طرح أسئلة تتمحور حول القيمة الإخبارية لكلّ جملة من الجمل السابقة (Information Value):

لماذا تأخرت جملة طلب القهوة على جملة خلع السترة؟ وفي ملفوظ آخر: لماذا تأخرت جملة خلع السترة على طلب القهوة؟ هذا يعني أنّ تلك الجمل، في ظاهرها، تحملُ نفس الرتبة العاديّة للحقائق والمناسبة لترتيب الجمل، لكنها تضمرُ تشويشًا على الحقيقة. فالمتكلمُ، بتغييره لترتيب الجمل بين ملفوظ وآخر، إنما يلمّحُ لسياقات تأويليّة إدراكيّة، حيث يحاول من خلال هذا التلميح تنبيه القارئَ إلى أنّ: خلع عليّ لسترته، سواء تقدّم أو تأخّر، يؤشِّر على إعياء أو ارتباك أو عجلة من أمره أو شعورًا بالحرارة. أيّ: أنّ تلك الجمل السابقة، كما يقول فان ديك، اختلف ترتيبها لكن حقيقتها الظاهرة لم تختلف، بيد أنّ حقائقها الغائبة اختلفت. فعوض أنْ نقولَ: توجّه عليٌّ إلى المقهى وطلب القهوة بعد أن خلع السترة، يبني المتلقِّي حقيقة غائبة وهي: ذهب عليٌّ

إلى المقهى وهو في عجلة من أمره أو اشتدت به الحرارة[1]، ممّا يعدّه فان ديك ضمن (السياقات التفسيريّة) (Explanatory Context).

إذن، نلاحظ أنّ الملفوظات تتراكمُ وفق ترتيبٍ عاديّ للمكوّنات والحقائق، وعندما يغيّر المتكلّم من الترتيب الأولي، يبدو للوهلة الأولى أنّ الحقيقة لم تتغيّر. ومن ثمّ، هناك حقائق حاضرة يعرفها المتكلِّم والمخاطب، بيد أنّ السياق التفسيريّ قد يؤشّر على حقائق غائبة من وراء هذا التغيير في ترتيب الملفوظات والحقائق.

وبهذا المعنى، فإنّ ترتيب الحقائق والتشويش عليه هو تشويشٌ على الحقيقة نفسها. اعتمادًا على السياق الذي يربط السامع بالمتكلِّم، انطلاقًا من قيود سياقيّة تداوليّة ومعرفيّة. وهذا السياق الذي يخفي حقائق غائبة هو نفسه يمنعُ بعض الأوساط في سياق فضائيّ محدد، مثل قولنا: هناك ملعقة صغيرة في المطبخ وتحتها مائدة كبيرة.

ففان ديك بهذا المعنى يجعل من تأويل الحقائق مرهونًا بسياق منطقيّ ومقبول يتعاقد عليه كلًا من المتكلِّم والسامع.

وبذلك نبحثُ في رتبة الأعمال التي تؤثرُ في رتبة الحقائق ذاتها.

(1) See: Teun. A Van Dijk. "*Text and context*", p.103.

المحور الثالث: رتبةُ الأعمال والتنظيم التداوليّ

قد تمّ البرهنة سابقًا على أنّ مكوّن الزمن، ومن ثمّ، الرتبة في اللغة، يؤدي وظيفية أساسيّة في تدفُّق المعلومات وتصنيفها وفق قيود تداوليّة ومعرفيّة إلى معلومات قديمة أو معلومات جديدة منبورة. غير أنّنا دافعنا عن الأطروحة القائلة: بأنّ نمو الخطاب لا يخضع بالضرورة لمقولتي: المقدّم أولى أو المؤخّر أولى. ذلك أنّ العلاقة بين المتكلّم والسامع أو المنتج والقارئ، هي التي تحدِّدُ نمو الخطاب وتفاعل المقصديّات، كما دافعنا عن فكرة أساسيّة، وهي: أنّ الكلماتِ ليست مجردَ أشياء في العالم الخارجيّ، بل هي حقائقٌ وأعمالٌ لا تخضعُ بدورها إلى تصنيف ثابت ضمن مقولة الرتبة. وبذلك، فإنّ لوظيفتيّ البؤرة والمحور في الخطاب علاقة أساسيّة بمفهوم (العمل Action) الذي يترتّب عن ذلك مقولات أخرى مثل: (الأحداث) و(الحالات) وغيرها.

وهكذا، تمثّل نظريّة العمل المشَكِّلَ لمبدأ أساسيّ في الديناميّة التواصليّة وفي تحليل الخطاب تحليلاً تداوليًّا، إذ تعدُّ مقولةً أساسيّة في مدى تحقيق منتج الخطاب لمقصديّات الإنجاز، بناءً على تصنيف معلوماته إلى حالات للأعمال أو وضعيّات. وبذلك، يجب على محلِّل الخطاب أن ينتبه إلى أنّ أيّ تغيير في عالم ممكن ما، أو بالأحرى يظهر بين وضعيتين، يمثّل تقدُّمًا في بناء الخطاب وتطوّره بما يفيدُ الإشباع المعلوماتيّ لدى المرسَل إليه. فمثلاً، إذا طرأ تغيّر ما في عالم ممكن بين الوضعيتين: <ع أ، ز أ> و <ع أ، ز أ+1>، فإنّ هذا يؤشّر على تغيّر أدنى، إذا كانت هذه الأوصاف أو التغييرات تختلف فقط في قضيّة ذريّة (Atomic proposition)، بينما يظلُّ التكافؤ في باقي العناصر[1]،

(1) See: Teun. A Van Dijk. "*Text and context*", pp.167:172

وتجدرُ الإشارة إلى أنّ مفهوم العوالم الممكنة (**Atomic proposition**)، ينظر إليه في المنطق الدلالي خاصّة مع هينتيكا بأنّه الجملة أي القضية التي هي في الأصل مجرد خيال أو صورة ذهنيّة حيث إنّ كل كلامنا هو مجرد عوالم ممكنة متخيّلة.

مثال توضيحيّ:

أ–الباب مفتوحٌ = <ع أ، ز أ>.

ب– البابُ غيرَ مفتوحٍ بعد ذلك = <ع أ، ز أ+ ١>.

إذن، نلاحظ أنّ التغيير طرأ في قضيّة ذريّة أيّ: أدنويّة واحدة، وهي أنّ الباب صار غير مفتوح بعد أن كان مفتوحًا في العالم الممكن السابق. وفي هذا المعنى يعدّ فان ديك أنّ التغيّر (change) لابد أن يحدث تغييرات في خصائص العوالم الممكنة؛ إذ تظهر أشياء وتختفي أخرى، وتبنى أو تهدم علاقات بين الأشياء. وبذلك، لا يحدث أي تغير إذا كانت أوصاف كلّ من الوضعيتين السابقتين متشابهتين.

ويضيفُ فان ديك إلى التغيّر الأدنى الذي رأيناه سابقًا ما يسميّه الحدث المركّب (Compound Event)، أيّ: الحدث الذي يتكّون من عدّة أحداث ترتّب خطيًّا لكنّها تدرك في الذهن كحدث واحد في مستوى معين من مستويات الوصف. فنجد في هذه الأحداث المركَّبة الحالة الأوليَّة في القضيّة الأولى تشبه الحالة الأوليّة في القضيّة الثانية، بينما الحالة النهائيّة تناظر الحالة النهائيّة المرتبطة بالحدث النهائيّ. معنى ذلك أنّ الحدث المركَّب، إذا كان متسلسلاً بهذا المعنى، فإنّه ينعتُ بكونه **مستمرًّا متواصلاً**، وإلا كان متقطّعًا. فعلى سبيل المثال، نعدّ (حدث التحطيم) حدثًا مركّبًا، لأنّه يتكوّن على الأقل من حدث التحرُّك وحدث التكسير، بل إنّ حدث التحطيم حدثٌ مستمرًا، بخلاف (حدث الغناء) إذ غالبًا ما يكون متقطعًا لوجود ثغرات زمنيّة بين الأحداث الفرعيّة. ونضيفُ إلى الأمثلة السابقة فعل (أمطر) بحيث إنّ عملية الإدراك والوصف في الأحداث المستمرة تجعلان بؤرة الانتباه تركّز على خصائص التغيّر التي أحدثها فعل الإمطار[1].

وانطلاقًا من التصنيفات السالفة الذكر، يمكن الحديث عن متواليات الأحداث (Sequences of Events)؛ أيّ عن سلسلة أحداث مميزة يتبعُ الواحدُ منها الآخر في

(1) See: Teun. A Van Dijk. "*Text and context*", pp.169:170.

الزمان، بمعنى في عوالم ممكنة. إذا كانت المتوالية المتكوّنة من عدة أحداث مدركة بوصفها وحدة، فإنها تعدُّ حدثًا مركّبا؛ فهي متواليات متعدّدة، لكنها بحكم ورودها في سلسلة تلفظيّة واحدة يمكن نعتها للمتوالية الواحدة المتضمّنة لأحداث متعدّدة. ومعنى ذلك أنّ المتواليات المدركة كوحدة واحدة تقدم أحداثًا تختزلُ معرفتها في الحدث المركّب.

وقد يقول قائل: إنّ هذا الشرح التفصيليّ ما جدواه في تحليل الخطاب الشعريّ وغيره؟ فجوابنا واضح، وضوح النظرية ذاتها؛ لأنّ اللسانيّات المعاصرة تطوّرت بشكلٍ مذهلٍ ومن ثمّ، فهي تقدّم شرحًا علميًّا لظواهر شعريّة أو خطابيّة من قبيل: الاستعارات، العوالم الممكنة، التمييز بين العمل والفعل، ممّا يسهمُ في توجيه القارئ نحو تأويل محليّ.

أمّا النقدُ العربيُّ –وللأسف– فقد توقّف عند حدود اللسانيّات التداوليّة ولم يواكب تطوّرها نحو اللسانيّات المعرفيّة، والدلالة المعرفيّة، والسيميائيّات المعرفيّة، والأنثروبولوجيا المعرفيّة وغيرها. وبذلك، لا يمكن أن نغفل تطوّر الخطابات المعاصرة وفي الآن نفسه تطوّر اللسانيّات التي تمدُّنا بآليّات التفسير والتأويل العلميين.

ويميّز فان ديك في هذا الصدد بين متوالية الأحداث وسلسلة الأحداث. فالسلسلةُ يمكن أن تتكوَّن من أحداث مستقلَّة عن بعضها البعض، بينما في المتوالية لا ترتب الأحداث ترتيبًا خطيًّا فحسب، بل تكون مترابطة أيضًا. والمبدأ المميّز لهذين المفهومين (متوالية الأحداث وسلسلة الأحداث) هو مبدأ السببيّة (Causation). فسلسلةُ الأحداث يمكن أن تكون متوالية إذا ارتبطت فيها الأحداث برابط السببيّة. كما أنّ هذا المبدأ يجري فقط بين الأحداث ولا يجري بين الحالات. فإذا قلنا مثلا: إنّ حالة ما تمثّل النتيجة، فإنّنا نقصد أنّ حدثًا هو النتيجة ويحتوي على تلك الحالة بوصفها نهائيّة، مثل قولنا:

تسبّب الزلزال في حالة تشرُّد الناس. إنّ السببيّة هنا تجري بين حادثة الزلزال

وسلسلة الأحداث والأعمال المترتّبة عنها والتي تحوي حالة التشرُّد(١).

إذن، يمكن اعتبار نظريّة العمل كما يطرحها فان ديك نظريّة تحلِّلُ بشكل ذريّ ما يحدث في العوالم الممكنة من تغيّرات وأحداث وحالات، ممّا أسهم في تطوير نظريّة الديناميّة التواصليّة وعلاقة نبر الكلمة بنمو الخطاب وتطوّره. وهذا ما يجعلنا نؤكّد أنّ تفسير وتأويل العوالم الممكنة وظاهرتي المحور والتعليق هي كلُّها آليّات لسانيّة تأويليّة لتفكيك الخطاب وإعادة تشييده، انطلاقًا من مفاهيم ترتبطُ أحيانًا بالقالب الدلاليّ وأحيانًا أخرى بالقالب الفضائيّ الصوتيّ.

إنّ اختيار الباحثة للديناميّة التواصليّة ودرجات النبر في الكلمة يمثّل إستراتيجيّة تحليليّة جديدة تمكّننا من الكشف عن المضمرات وعن تفاصيل تأثير مقصديّات المتخاطبين في بعضهم بعض خاصّة أنّ الخطابات، بقدر ما تقدِّم الصريح من المعاني، فإنّها تضفي معانٍ أخرى نحلِّلها من زاوية الديناميّة التواصليّة. فإلى أيّ حدّ تسعفنا هذه النظريّة في إعادة بناء الخطاب السياسيّ وأثره في المجتمع؟ ونموذجنا خطاب صاحب السمو الملكيّ وليّ العهد الأمير محمد بن سلمان حيث نحاولُ استكشاف ديناميّته التواصليّة التي تجعل من خطابه خطابًا فريدًا وجديدًا على المجتمع السعوديّ ذاته.

(١) السببية تكون بين الأحداث وليس بين الحالات، فإذا قلت: مرضك أحزنني، فالسببية هنا ليست بين حالة المرض وحالة الحزن بل بين أحداث مترتبة عن المرض وانتجت أحداثا أخرى أدت إلى الحزن. فنعيد صياغة العوالم الممكنة ونقول: مرضك جاء انطلاقًا من شربك للمياه الغازية وهذا ما جعلني أتحرك بك بين طبيب وآخر مما أحزنني كثيرا.
وهذا ما ستظهر قيمته الدلالية التأويلية في تحليل خطاب أكبر مركب وذي مقصديات متعددة.

المحور الرابع: ديناميّة الخطاب السياسي

المحور المنطلق والبؤرة الهدف

٤–١ بناء الرؤية والرؤيا لخطابات صاحب السمو الملكيّ وليّ العهد الأمير محمد بن سلمان آل سعود:

أ– المدونة:

"هذه توجيهات سيّدي خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود يحفظه الله، حيث أمرنا بأن نخطّط لعمل يلبي كلّ الطموحات ويحقق جميع الأمنيات.

وبناء على توجيهه، حفظه الله، وبدءًا من هذا اليوم، سنفتح بابًا واسعًا نحو المستقبل، ومن هذه الساعة سنبدأ العمل فورًا من أجل الغد، وذلك من أجلكم – أيّها الإخوة والأخوات – ومن أجل أبنائكم وأجيالنا القادمة.

ما نطمح إليه ليس تعويض النقص في المداخيل فقط، أو المحافظة على المكتسبات والمنجزات، ولكن طموحنا أن نبنيَ وطناً أكثر ازدهاراً يجد فيه كل مواطن ما يتمناه، فمستقبل وطننا الذي نبنيه معاً لن نقبل إلا أن نجعله في مقدمة دول العالم، بالتعليم والتأهيل، بالفرص التي تتاح للجميع، والخدمات المتطورة، في التوظيف والرعاية الصحيّة، والسكن والترفيه وغيره.

نلتزم أمامكم أن نكون من أفضل دول العالم في الأداء الحكوميّ الفعّال لخدمة المواطنين، ومعًا سنكمل بناء بلادنا لتكون كما نتمناها جميعًا مزدهرةً قويةً تقوم على سواعد أبنائها وبناتها وتستفيد من مقدراتها، دون أن نرتهن إلى قيمة سلعة أو حراك أسواق خارجيّة.

نحن نملك كلّ العوامل التي تمكننا من تحقيق أهدافنا معًا، ولا عذر لأحد منا في أن نبقى في مكاننا، أو أن نتراجع لا قدر الله.

رؤيتنا لبلادنا التي نريدها، دولة قوية مزدهرة تتسع للجميع، دستورها الإسلام ومنهجها الوسطيّة، تتقبّل الآخر. سنرحّب بالكفاءات من كلّ مكان، وسيلقى كلّ احترام من جاء ليشاركنا البناء والنجاح.

في المرتكزات الثلاثة لرؤيتنا: العمق العربيّ والإسلاميّ، والقوة الاستثماريّة، وأهميّة الموقع الجغرافيّ الإستراتيجيّ؛ سنفتح مجالاً أرحب للقطاع الخاص ليكون شريكًا، بتسهيل أعماله، وتشجيعه، لينمو ويكون واحدًا من أكبر اقتصادات العالم، ويصبح محركًا لتوظيف المواطنين، ومصدرًا لتحقق الازدهار للوطن والرفاه للجميع. هذا الوعد يقوم على التعاون والشراكة في تحمُّل المسؤولية.

لقد سمينا هذه الرؤية بـ (رؤية المملكة العربية السعوديّة٢٠٣٠)، لكننا لن ننتظر حتى ذلك الحين، بل سنبدأ فورًا في تنفيذ كلّ ما ألزمنا أنفسنا به، ومعكم وبكم ستكون المملكة العربية السعودية دولة كبرى نفخر بها جميعًا إن شاء الله تعالى"(١).

ب– إعادة البناء:

١– تقطيع الخطاب إلى عوالم ممكنة

إذا كانت العوالم الممكنة تمثّلُ ملفوظات تحوي قضايا متخيّلة بالضرورة، وفق النظرة الفلسفيّة التداوّليّة لهنتيكا (٢)(Hintikka) ، فإنّها تشيرُ إلى شروط مساقيّة وسياقيّة تمكّن محلّلِي الخطاب من تحديدها اعتمادًا على قاعدة فان ديك السابقة فيما يخصُّ ما اسماه بـ التغيّر (Change) فالانتقال من عالم ممكن إلى آخر شرطه الأساس الزمان والتغيّر، ومثال ذلك:

(١) رؤية القيادة. "استرجعت بتاريخ ٢٠٢٤/١١/١٠م " من موقع:
https://www.vision2030.gov.sa/ar/leadership-messages

(2) See: Jaakko Hintikka.*" L'intentionnalité et les mondes possibles* [Intentionality and Possible Worlds]". Translated by Nadine Lavand. Villeneuve-d'Ascq: Presses Universitaires de Lille, 1989 .P. 146

العالم الممكن أ = <ع١ + ز١>

والعالم الممكن ب = < ع١ + ز٢>

لكن عندما يحصل التغير يصير العالم الممكن جديدًا كالآتي:

العالم الممكن ج = <ع٢ + ز٣ + تغير ١>

إنّ أ في النمذجة السابقة تحوي عالمًا ممكن بزمانه الأوّل، كقولك: (شربت القهوة)، فالعالم الممكن هنا هي: قضيّة شرب القهوة، وزمانها الماضيّ.

وفي النمذجة العالم الممكن ب فيكرّر نفس العالم الممكن أ لكن بزمان جديد (ز٢)، مثل: (شربتُ القهوة الآن). غير أنّ التغيّر في العوالم الممكنة ينقلنا من عالم ممكن قديم إلى عالم ممكن جديد. وقد يحمل هذا العالم الجديد تغيرًا واحدًا أو أكثر من تغيّر، مثل قولنا: (شربت القهوة بدون سكر)، حيثُ تنشأ قضية جديدة مع زمان جديد انطلاقًا من التغيّر: شرب القهوة من دون سكر. لكن إذا أضفنا على هذا العالم الممكن ج تغيّرًا في داخله حصلنا على تغير جديد ٢ أيّ: <ع ٢ + ز٤ + تغير ٢، كما في قولنا: (شربت القهوة بدون سكر طبيعي). معنى ذلك أنّ التغير هو الذي ينقلنا من عالم إلى آخر، ولكن قد يظلُّ العالم الجديد المتغيّر عن الأوّل، حاملاً لنفس القضيّة أو المحتوى القضويّ ذاته مع تغيّر ثان، أو ثالث.....، ومعنى ذلك كلِّه أنّ التغيُّر المطلق: ينقلنا من عالم ممكن قديم إلى جديد، وأمّا التغيُّر الجزئيّ فينقلنا من محتوى إلى محتوى متفرّع عنه في العالم ذاته.

بالعودة إلى خطاب وليّ العهد، يمكنُ أن نقطّع متوالياته وفق عوالم ممكنة يشكّل بعضها عوالم ممكنة (منطلَقٍ) وأخرى عوالم ممكن (هدف) أيّ: تلك التي تحوي النبر، ومن ثمّ، تنمو بالخطاب وبآليّاته، حيث يتيحُ هذا التصنيف تتبّع تطور الرسائل، وتحديد موقع المحور والبؤرة في الخطاب السياسي، وفهم كيف يحرك الخطاب المعنى والمقصدية لدى المتلقّي:

١–١ العوالم الممكنة المنطلق:

– < هذه توجيهاتُ سيدي خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود يحفظه الله>

– < حيثُ أمرنا بأن نخطط لعمل يلبّي كلّ الطموحات ويحقق جميع الأمنيات>

– < وبناء على توجيهه، حفظه الله، وبدءًا من هذا اليوم، سنفتح بابًا واسعًا نحو المستقبل، ومن هذه الساعة سنبدأ العمل فورًا من أجل الغد، وذلك من أجلكم – أيُّها الإخوة والأخوات – ومن أجل أبنائكم وأجيالنا القادمة >

نحلِّل تلك العوالم الممكنة المنطلق، انطلاقًا من كونها تحوي قضايا ممكنة، ومن ثمّ، فمحورها الدلاليّ العامّ هو توجيهاتُ خادمِ الحرمين لتطبيق مشروع تنمويّ شامل وجديد.

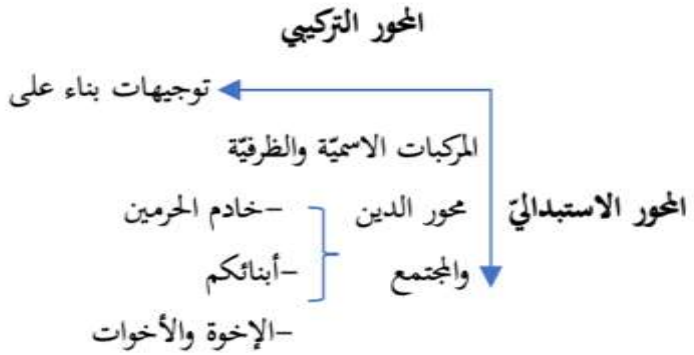
نبرهنُ على هذا المحور المنطلق بناء على مفهوميّ العلاقات التراكبيّة (Syntamatic) والعلاقات الاستبداليّة (Paradigmatic)، حيث إنّ الأولى تحوي تتابعًا للمركّبات الاسميّة مثل: هذه توجيهات، حيث، وبناء على، ... وهذا مؤشِّر على رغبة منتج الخطاب في التعريف؛ لأنّ المركبات الاسميّة أو الظرفيّة مثل: (حيث) تنبئُ المتلقّي بالجديّة، إذ إنّ كلّ تعريف وراءه مسؤوليّة، وهذا ما نجده في الدرس التداوليّ الذي يعتبر أنّ المركبات الاسميّة بشكل عام تحوي محور الحديث ومنطلقاته التعريفيّة التي ترتبط مباشرة بالذات المنتج التي تتحمّل مسؤوليّة أمام السامع.

وأمّا المحور العاموديّ الاستبداليّ فإنّه يخيرنا بين وحدات معجميّة توسمُ بها تلك التوجيهاتُ التي انطلق منها الأميرُ ليحدّدَ البؤرة في المتواليات اللاحقة، ومن ذلك على سبيل المثال: محورُ التوجيهات تحوي الملفوظ: خادم الحرمين الشريفين– يحفظه الله– الطموحات، الأمنيات، المستقبل، الإخوة والأخوات، الأجيال القادمة.

إنّه محور استبداليٌّ للتوجيهات، لكنّه يؤشِّر على عوالم ممكنة تتكرَّر عن مقصديّة لإثارة المتلقّي من خلال مراكز إشاريّة (Deictic centers) تحيلنا بدورها على (أمر

طارئ مستجد) من قبيل: هذه الساعة، وهذا اليوم، ناهيك عن حضور بعض منفِّذي الدلالة الذين يرتبطون مباشرة بالإسلام، مثل: الحرم الشريف، إضافة إلى بعض المنفذين الاجتماعيين مثل: الإخوة والأخوات، وكلُّ ذلك خدمة لجعل منطلق الخطاب منطلقًا رصينًا يشي بحدثٍ جللٍ تعرفه المملكةُ لعربيّةُ السعوديّةُ.

ويمكنُ أنْ نقدّم نمذجة للعلاقة بين المحور التراكبيّ والمحور الاستبداليّ في العوالم الممكنة التي شرحناها آنفًا كالآتي:



الشكل (٢) محاور العوالم الممكنة المنطلق

إذن، لنلاحظ أنّ منتج الخطاب، وليّ العهد، قد بدأ خطابه بتكريس ثوابت الأمّة، وهي منطلقاتٌ لمحور الخطاب؛ أيّ: أنّ التوجيهاتِ صادرةٌ عن خادم الحرمين الشريفين، بوصفه السلطة السياسيّة والدينيّة، لكنّه ربطها بخدمة المجتمع والمتلقّي، بوصفهما جزءًا من تلك الثوابت، وقد برهنّا على تأويل ذلك بناءً على مفاهيم لسانيّة تداوليّة من قبيل: العوالم الممكنة. والقضايا، والمراكز الإشاريّة، ومحوري التراكب، والاستبدال.

نستخلص أنّ بناء المنطلقاتِ والمحاورِ في خطاب ولي العهد يعتمدُ على شرعيّات

متعددة: الشرعيّة الدينيّة (خادم الحرمين الشريفين)، والشرعية الاجتماعيّة (الإخوان والأخوات)، والشرعيّة الراهنيّة (الحاضر والمستقبل).

فكيف أن نشيّدَ (العوالم الممكنة الهدف)، أيّ: العوالم المنبورة التي تؤدي إلى تدفّق المعلومات الجديدة مع تدفّق الخير والتفاؤل بالنسبة للمنتج والمتلقّي معًا؟

١–٢ العوالم الممكنة الهدف وتدفّق المستقبل:

انطلاقًا من المدونة السياسيّة السابقة نقطّع الملفوظات القضويّة بناءً على العوالم الممكنة الآتية:

- **<ما نطمح إليه ليس تعويض النقص...>**
- **<طموحنا أن نبني وطنا أكثر ازدهارًا>**
- **<وطننا الذي نبنيه معًا>**
- **<أن نجعله في مقدّمة دول العالم>**
- **<نلتزم أمامكم >**
- **<ولا عذر لأحد منّا بأن نبقى في مكاننا>**
- **<أو أن نتراجع>**
- **<رؤيتنا لبلادنا>**
- **<دستورها الإسلام ومنهجها الوسطيّة تتقبّل الآخر>**
- **<سنفتح مجالا أرحب للقطاع الخاصّ>**
- **<لقد سمينا هذه الرؤية رؤية المملكة ٢٠٣٠ >**
- **<سنبدأ فورًا في تنفيذ كلّ ما ألزمنا أنفسنا به>**

إنّ ما يميّزُ الملفوظاتِ القضويّة السابقة هي كونها مميّزة عن بعضها بعض بما ينعت في اللسانيّات **بالخصائص المميّزة**، إذ تزاوج بين المركّبات الفعليّة والمركّبات الاثنيّة، بل تتزاوج بين التعريف (Definition) والأنشطة (Activities) من قبيل التعريف: (رؤيتنا

لبلادنا...دولة قوية، في المرتكزات: العمق العربي...، لقد سمينا هذه الرؤية رؤية المملكة٢٠٣٠). غير أنّ الخطاب لا يكتفي بالتحديدات، بل يضيفُ إليها ملفوظات الأنشطة التي تربط بين النوايا والأفعال وتكرّر بداخل أفعالها سمات حركة ونشاط مثل: (سنبدأ العمل فورًا، نبني وطنًا، سنكمل بناء، سنفتح مجالاً أرحب، لينمو).

نعتبر المؤشّرات الآنفة الذكر، من قبيل: التعريف والحركة والنشاط، في خطاب وليّ العهد مؤشّرات دالة على حدوث تغيّر في كلِّ العوالم الممكنة التي حصرناها في باب الهدف المنبور، حيثُ النبرُ يقع على المركّب الفعليّ (نبني)، وعلى المركّب الحرفيّ (في مقدّمة دول العالم)، كما يقع أيضًا على رؤية ٢٠٣٠، ومن ثمّ، تتحوّل (**الرؤية**) إلى (**رؤيا**) في هذا الخطاب؛ أيّ: رؤيا فلسفيّة وإستراتيجيّة جديدة تغيّر العوالمَ الممكنةَ من مجرد أحداث ومتغيّرات إلى أعمالٍ كاملةٍ بالمعنى الذي يقدمه فان ديك حيث إنّ الأعمال (Actions) تختلف عن الأفعال (Acts) لكونها مرتبطة بتحقيق الأهداف (Goals). فالأعمالُ لا تعدُّ أعمالًا إلا ارتبطت بتحقيق الأهداف الإستراتيجيّة[١]، وهذا ما نجده في الخطاب، إذْ تدفع الذاتُ المجتمعَ نحو تحقيق أعمال لا أفعال فحسب. وتنبئُنا بعضُ المركّبات الاسميّة بأنّ هذه الأعمال استراتيجية وبعيدة الأهداف، مثل: (أن نكون من أفضل دول العالم، أن نبني وطنًا أكثر ازدهارًا، دون أن نرتهن إلى قيمة سلعة). وقد جاءت هذه المركّبات في شكل تحديد للأهداف والقدرات، وهي نفسها الكفايات (Competencies) التي يتحدث عنها هوارد جاردنر (Howard Gardner) في كتابه: (الذكاءات المتعدّدة)[٢].

بناء على ما سبق، نتساءل: هل يمكن أن نتحدثَ عن تغيّر بسيط في العوالم الممكنة؟

(1) See: Teun. A Van Dijk. "*text and context* ", p114.

(2) See: Howard Gardner. "*Frames of Mind: the theory of Multiple intelligences*". Heineman London. 1984, pp 34-35.

إنّ التغيّر الحاصلَ هو نقلةٌ من الرؤية إلى الرؤيا، هو نقلةٌ كذلك من فعل بسيط بدون أهداف إلى أعمال عظيمة بأهداف إستراتيجيّة، وهي إذن، رؤية تدرج الوسطيّة في بناء المجتمع، وتنفتحُ على الآخر، ولا ترهنُ الاقتصاد بسلعة البترول، ممّا يجعلُ الأعمالَ داخلَ هذه الرؤية بمثابة ثورة هادئة في القول والعمل معًا.

ومن ثمّ، يمكن أن نقدّم نمذجةً لهذه العوالم الممكنة المختلفة كليًّا عن عوالم المنطلق، أيّ: أن كلّ عالم ممكن جديد هو متغيّرٌ جديد (New change):

< ع١+ ز١+ غ١ >، < ع٢+ ز٢+ غ٢ >، <ع٣+ ز٣+ غ٣+ n. ما لا نهاية >....

نفسّرُ تراكمَ العوالم الممكنة السابقة، وهي عوالمُ الرؤيا الإستراتيجيّة المنبورة، بكونها: في ع١ هناك غ١ أيّ: تعدُّد موارد الاقتصاد، ع٢ تحوي غ٢ أيّ: تغيّرًا جديدًا في وسطيّة الإسلام، وفي: ع٣ تحوي غ٣، أيّ: تغيّرًا جديدًا في الانفتاح على الآخر... وبالتدرُّج مع الملفوظات المنبورة المتراكمة نحصل على غ+N أيّ ما لا نهاية من التغيّرات.

إنّنا بهذا المعنى الإستراتيجيّ، وبعد إعادة بناء الخطاب، نحصل على ديناميّة تواصليّة في تقدّم الخطاب المرسِل بمتلقيّه نحو الحقيقة المنبورة. ذلك أنّ خطاب ولي العهد يغيّر ليس فقط الأفعال والأعمال بالمعنى التداوليّ المعرفيّ، وإنما يغيّر الحقيقةَ كاملةً، أيّ: يجعلها حقيقة التغيير التي تفرضها الشرعيّات الثلاث التي تحدّثنا عنها، وهي: شرعيّة الإسلام، وشرعيّة المجتمع، وشرعيّة الراهن المحليّ والدوليّ. ولقد قادنا هذا الاستنتاج الأهمّ الذي يربطُ المتغيّرات بالحقائق، إذّ أنّ رؤية المملكة التي بشّر بها ولي العهد قد فكّكنا ملفوظاتها وعوالمها الممكنة لتصير رؤيا بمعناها الفلسفيّ والسياسيّ والإستراتيجيّ.

خاتمة:

يُعدّ هذا البحث محاولة لفتح أفق تداوليّ جديد في دراسة النبر اللغويّ، من خلال ربطه بتدفّق الدلالة في الخطاب، لا سيّما في النصوص التي تتجاوز الجمل المعياريّة إلى الخطابات الشعريّة والسياسيّة ذات البنية الرمزية المتحوّلة. وقد انطلق البحث من نقد فرضيّة نظرية الديناميّة التواصليّة التي حصرت النبر في الكلمة الأخيرة من الجملة، واقترح بديلًا أكثر مرونة يجعل النبر تابعًا لتدفّق المعلومات ولحركيّة الخطاب بين المتكلّم والمخاطَب.

وتوصّل البحث إلى أنّ النبر ليس مجرّد سمة صوتيّة، بل مؤشّر تداوليّ ودلاليّ، يعبّر عن كيفيّة انتقال المعنى من القديم إلى الجديد، وعن تموضع المتكلّم في السياق التواصليّ. كما تبيّن أنّ موقع النبر يتبدّل تبعًا لمقاصد الخطاب، ومقام القول، والعلاقة الشعورية والمعرفية بين أطراف التواصل.

وفي الخطاب الشعري، ظهر النبر بوصفه وسيلة لإعادة بناء البنية الدلاليّة للنصّ، بحيثُ يصبحُ مركزَ النبرِ هو مركزُ المعنى الجماليّ والمجازيّ، فيما يتجلّى في الخطاب السياسيّ كأداة لتكثيف المعنى الإقناعيّ وتنظيم إستراتيجيّات التأثير في المتلقّي.

وقد أظهر التطبيق على خطابات صاحب السمو الملكي أنّ تدفّق معلومة المستقبل هو العنصر الذي يحدّد مواضع النبر، ويُعيد تشكيل العوالم الممكنة داخل الخطاب السياسيّ السعوديّ الحديث، بما يتوافقُ مع الرؤيّة المستقبليّة للعهد الجديد.

وبناءً على ذلك، أكّد البحث أنّ النبر والتداولية يشكّلان معًا محورًا أساسيًا في فهم بنية الخطاب العربي، وأنّ الربط بين الصوت والدلالة والسياق هو الطريق الأمثل لتأسيس لسانيّات عربية تداوليّة تستوعب تحوّلات النصوص الحديثة.

– نتائج الدراسة:

- تحوّل النبر من مفهوم صـــوتيّ إلى وظيفة تداوليّة: أثبت البحث أنّ النبر ليس

عنصرًا صوتيًا منعزلًا، بل هو وسيلة للتعبير عن البنية المعلوماتيّة للخطاب وتوزيع المعاني بين القديم والجديد.

- مرونة نظريّة الديناميّة التواصليّة: أظهرت النتائج أنّ النظرية قابلة للتوسيع لتشمل الخطابات غير المعياريّة، شرط دمجها بمفاهيم السياق وأفعال الكلام والعوالم الممكنة.
- العلاقة بين النبر وأفعال الكلام: يتبدّل موقع النبر تبعًا لنوع الفعل الكلاميّ (الإخباريّ، الإنشائيّ، الإقناعيّ، الانفعاليّ)، ما يجعله مؤشرًا على المقاصد التواصلية للمتكلّم.
- النبر في الخطاب الشعريّ: يُعدّ النبر وسيلةً لتوليد الطاقة الإيقاعيّة والمعنويّة، ويُسهم في إعادة بناء التوازن بين الدلالة والرمز والإيحاء.
- النبر في الخطاب السياسيّ: يعملُ النبرُ على إبراز المعاني المركزية المرتبطة بالرؤية والمستقبل والسلطة الرمزيّة، ويساعدُ في بناء إستراتيجيّات الإقناع وإدارة التلقّي.
- العوالم الممكنة وتغيّر النبر: كلّما تغيّر الحدث أو المرجع في الخطاب تغيّر معه موقع النبر، لأنّه ينتقل من المعلومة التي تمثل محور الحديث المعروف إلى المعلومة الجديدة التي تشكّل العالم الممكن.
- الخطاب السعوديّ نموذج دالّ: بيّنت الدراسة أنّ الخطاب السياسيّ السعوديّ الحديث يوظّفُ النبر بوصفه أداة دلاليّة لبناء خطاب استشرافيّ متجدّد، يتكئُ على المفاهيم المستقبليّة والإصلاحيّة.

– توصيات الدراسة:

١. دعوة إلى مزيد من الدراسات التطبيقيّة التي تتناولُ النبر في ضوء التداوليّات ضمن أنواع مختلفة من الخطاب العربيّ (الدينيّ، الإعلاميّ، الأدبيّ).

٢. إدماج دراسة النبر في مناهج اللسانيّات العربيّة الحديثة، مع التركيز على علاقته

بتدفّق المعلومات وبنية المعنى.

٣. الاهتمام بدراسة النبر في الخطاب الشعريّ السعوديّ المعاصر بوصفه أداة لبناء الإيقاع المعنويّ والتأثير الجماليّ.

٤. توسيع المقاربة التداوليّة لتشمل تحليل الخطاب السياسيّ في ضوء أدوات اللسانيّات الخطابيّة (كالانسجام، والاتساق، والعوالم الممكنة، وإستراتيجيّات التلقّي).

٥. إطلاق مشروع بحثيّ عربيّ لدراسة العلاقة بين نبر الكلمة في السياق عبر مناهج التداوليّة الحديثة، بما يربط بين النظريّة والتطبيق في تحليل الخطاب.

قائمة المراجع

المراجع العربيّة:

أحمد الحربي، "ديوان مع الريح". (ط١، القاهرة: دار النابغة للنشر والتوزيع،٢٠١٥م).

حسان، تمّام. "اللغة العربية: معناها ومبناها". (ط١، المغرب: دار الثقافة، ١٩٩٤).

شكري، إسماعيل. "امبرطوريّة التنافذ: نظرية في النسبية التأويليّة". (ط١، الدار البيضاء: دار توبقال، ٢٠١٦م).

الفهري، عبد القادر الفاسي. "في اللسانيات واللسانيات العربية". إشراف إدريس السغروشي، وعبد القادر الفاسي الفهري. (د.ط، الدار البيضاء: منشورات عيون المقالات، ١٩٨٨م).

المتوكّل، أحمد. "اللسانيات الوظيفية: مدخل نظريّ". (د.ط، الرباط: منشورات عكاظ،١٩٨٩م).

مفتاح، محمد. "تحليل الخطاب الشعري: استراتيجية التناص". (ط١، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٨٥م).

مفتاح، محمد. "في سيمياء الشعر القديم دراسة نظرية وتطبيقيّة". (ط1، الدار البيضاء: دار الثقافة، ١٩٨٩م).

المراجع الأجنبيّة:

Firbas, Jan. "On the concept of communicative dynamism in the theory of functional sentence perspective". In: Studia Minora: Facultatis Philosophicae Universitatis Brunensis, 1971.

Firbas, Jan. "Scene and Perspective". In: Brno Studies In English. 1981, vol. 14, iss. 1. pp. 37-79

Gardner. Howard. "Frames of Mind: the theory of Multiple intelligences". Heineman London. 1984.

Hintikka, Jaakko." L'intentionnalité et les mondes possibles [Intentionality and Possible Worlds]". Translated by Nadine Lavand. Villeneuve-d'Ascq: Presses Universitaires de

Lille, 1989.
Kuno Susumu. "Functional Sentence Perspective: A Case Study from Japanese and English". Linguistic Inquiry 3(3) 1972: 269–320.
László Dezső. "Studies In Syntactic Typology and Contrastive Grammar", Translated by: Imre Gombos and Béla Hollósy. Berlin; Boston: De Gruyter Mouton. 1982.
Van Dijk, Teun A. "text and context: Explorations in the Semantics and Pragmatics of Discourse". University of Amsterdam, Second Impression. 1982.

الشبكات العنكبوتيّة:

رؤية القيادة. "استرجعت بتاريخ ١٠/١١/٢٠٢٤م" من موقع: https://www.vision2030.gov.sa/ar/leadership-messages

Bibliography

Aḥmad al-Ḥarbī, "Dīwān ma‘a al-rīḥ". (1st ed., Cairo: Dār al-Nābighah, 2015).

Ḥassān, Tammām. "al-lughah al-‘Arabīyah: ma‘nāhā wa-mabnāhā". (1st ed., Morocco: Dār al-Thaqāfah, 1994).

Shukrī, Ismā‘īl. "The Empire of Permeation: A Theory of Interpretive Relativity", (in Arabic). (1st ed., Casablanca: Dār Tūbqāl, 2016).

al-Fihrī, ‘Abd al-Qādir al-Fāsī. "fī al-lisānīyāt wa-al-lisānīyāt al-‘Arabīyah". Supervised by: Idrīs al-Saghroushy and ‘Abd al-Qādir al-Fāsī al-Fihrī. (Casablanca: ‘Uyūn al-maqālāt publications, 1988).

Miftāḥ, Muḥammad. "taḥlīl al-khiṭāb al-shi‘rī: istirātījīyah al-Tanāṣṣ". (Casablanca: al-Markaz al-Thaqāfī al-‘Arabī, 1985).

Miftāḥ, Muḥammad. "fī Sīmiyā’ al-shi‘r al-qadīm dirāsah Naẓarīyat wa-taṭbiqiyyah". (1st ed., Casablanca: Dār al-Thaqāfah, 1989).


الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
١٣٨
١٩٦

THE ISLAMIC UNIVERSITY JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE PART 2

THE ISLAMIC UNIVERSITY JOURNAL OF ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE

Part 2

Issue: 19
January - March 2026